مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

المكان وأثره في التشكلات الفنية للقصة: دراسة في قصة دومة ود حامد للطيب صالح

د. محمود سليم علي سليم

مدرس الأدب والنقد بقسم اللغة العربية

كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي

DOI: 10.21608/qarts.2022.145411.1456

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – العدد ٥٣ (الجزء الثاني) يوليو ٢٠٢١

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

المكان وأثره في التشكلات الفنية للقصة:

دراسة في قصة دومة ود حامد للطيب صالح

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة "المكان، وأثره في التشكلات الفنية للقصة دراسة في قصة دومة ود حامد للطيب صالح"؛ حيث أدى المكان وأنماطه المختلفة – سواء الأماكن المغلقة أو الأماكن المفتوحة – دورًا مهمًا في تشكل عناصر القصة، وقد ظهر هذا الأثر جليًا على عناصر العمل المختلفة؛ ففي عنصر الشخصيات أثر المكان نفسيًا بين محب وكاره للمكان لأسباب كثيرة، وكذلك في المكونات الجسدية للأشخاص، كما أثر في عنصر الزمان، واتضح ذلك في أمور كثيرة، كان أهمها ارتباط الزمان بالعوامل الطبيعية في القرية في فصول السنة المختلفة، أما في الأحداث فقد دارت أحداث القصة بطريقة كان المكان هو المتحكم الرئيس في جريانها، كما جاءت مفردات اللغة مستقاة من البيئة المكانية لأهل القرية السودانية.

وتمّ توضيح أثر المكان في عناصر القصة بعرض النماذج المختلفة التي رصدت فيها أوجه هذا الأثر، ثم قمت بتحليلها، وتوضيح مدى الأثر المكاني فيها.

وقامت هذه الدراسة على آليات المنهج الفني الذي أسهم في تحليل القصة وتفسيرها وفق أهمية عنصر المكان، وأثره في العناصر الفنية الأخرى للقصة.

الكلمات المفتاحية : المكان ، القصة ، ود حامد ، الدومة ، الضريح.

تمهيد :

تعد قصة " دومة ود حامد " من الأعمال الإبداعية للكاتب السوداني الشهير " الطيب صالح "، حيث نُشرت هذه القصة عدة مرات، كان منها أنها نُشرت ضمن الأعمال الكاملة الروايات والقصص للطيب صالح، الصادر عن مركز عبدالكريم ميرغي الثقافي حيث صدر في طبعته الأولى عام ٢٠١٠م .

وقد استطاع " الطيب صالح " في هذه القصة أن يرصد ظاهرة اجتماعية وهي تعلق أهل القرية السودانية بمكان رأوا فيه بركة وخلاصًا من كل شر – دومة ود حامد حيث ضريحه – يرون في هذا المكان المبارك ملاذًا من ملمات الحياة القاسية التي عاشوها في القرية النائية في حين يرى الوافدون على القرية عكس ذلك المعتقد، وقد عُرض في هذه القصة المكانة التي تمتع بها الضريح، ومدى أهمية الدومة في نفوس أهل القرية ، وكيف توارثت الأجيال جيل بعد جيلًا هذه الظاهرة الاجتماعية.

جاءت أهمية هذا المكان وسط يقين قد يظنه البعض دربًا أسطوريًا، أو إن شئت فقل مثيولوجيًا[١] في حين نجد نظرة المجتمع المعني بالقصة يجد في هذا المعتقد حقيقة مطلقة، ومؤكدة ،لا تجافي واقعية المجتمع الصغير هناك المتمثل في تلك القرية السودانية النائية التي تفتقد أبسط مقومات الحياة والعمران حسب معطيات المجتمع في هذه الفترة من الزمن كما صورها الكاتب في قصته، و" من المفترض أن الكاتب المهتم بالناس، والأماكن، والأشياء يحاكي أو على الأقل يستقرئ ما يأخذه على أنه عالم واقعي"[٢]؛ ومن ثم فقد اعتمد الكاتب على المعتقد الديني لدى المجتمع، وأثره في أفراد هذا المجتمع، والوافدين عليه.

ويعد هذا النوع القصصي المعتمد على الخيال الديني أحد أبرز أنواع القصة السودانية؛ ومن ثم "لا يعدم الخيال الديني كذلك المشاركة بنصيب في القصص الشعبي المتداول بما يؤلف من قصص حول الأولياء، والصالحين، ورحلاتهم في بوادي السودان، وبين القبائل ، وما يظهر على أيديهم من الكرامات، والمعجزات"[٣] كما هي الحال في قصة "ودومة ود حامد" ، وقد ارتكز عنوان البحث والدراسة على "المكان، وأثره في التشكلات الفنية للقصة دراسة في قصة دومة ود حامد للطيب صالح"؛ إذ إن المكان أحد أهم عناصر بناء القصة المحوري، وعليه قامت هذه القصة ، وإن المتصفح لهذه القصة ليلحظ مدى أهمية المكان فيها حيث بنى "الطيب صالح" قصته وفقًا لطبيعة المكان ، وجاءت هذه الأهمية منذ بداية القصة في العنوان ، فالعنوان يدل على المكان " دومة " ، وهنا نجد أن المكان غدا بمنزلة البطل الحقيقي للقصة الذي دارت حوله الأحداث ، وقد كان مصدرًا مهمًا لتجلي تلك الأحداث .

وبالتبعية نجد لهذا المكان أثرًا واضحًا في تشكلات عناصر القصة الأخرى، أما بالنسبة لأبطال القصة فقد انقسموا – وفقًا لما أورده الكاتب – إلى قسمين: قسم يؤمن ببركة "دومة ود حامد" ، وقسم آخر يجد فيها مثيولوجيا ترفض الحقيقة والواقع ، وتتخذ من الأسطورة مسلكًا لها، يأتي ذلك وسط محاولة الكاتب أن يرصد للمتلقي مجتمعين متضادين متناقضين ، يستنصر في عرضه لأحداث القصة للقرية التي وجدت في هذه الدومة والضريح ملاذًا من كل سوء وشر قد يلحقهم رغم الحياة البائسة التي تشبه صحراء الجاهلية القاحلة، التي لم يعرف ساكنٌ لها رسمًا، إلا أن أهل القرية يأبون اللحاق بركب التقدم الحضاري والازدهار المعماري متى تعارض ذلك مع المعتقد السائد حول بركة "دومة ود حامد" ؛ فهم يرفضون كل عمار تأتي به السلطات المتمثلة في موظفي الحكومة الذين يرسلون من قِبل المسئولين لتطوير القرية؛ إذ يرون

في التطوير خرابًا إن مسّ تلك الشجرة المباركة عند ضريح " ود حامد"، فقد كان هذا المكان محط أنظار أرباب التطوير من جهة الحكومة، ولما له من موقع استراتيجي على النيل، وفيه كثير من السمات التي تؤهل ليصبح مشروعًا ناجحًا يسهم في تطوير القرية.

وقد استعرض الكاتب أكثر من موقف يبين من خلاله للمتلقي بركة " دومة ود حامد"، ذلك الورع التقي الذي اختار مكان الدومة مكانًا للتعبد والتقرب إلى الله – سبحانه وتعالى –؛ ومن ثم أصبح المكان ضريحًا له يقصده كل بائس في الحياة يريد النجاة من خطب ما ألمّ به ، فمتى قصد الدومة والضريح وتبرك بهما زال عنه بؤسه وانجلى همه دون الحاجة إلى طبيب أو مستشفى إن كان داعيَ البؤس والهم مرضٌ جسديٌ، أو نفسيٌ ، فرغم تفشي الأمراض في القرية بسبب الأوبة المختلفة؛ نتيجة لانتشار الحشرات والهوام إلا أن الخلاص من كل ذلك يكمن في اللجوء إلى الدومة والتبرك بضريح "ود حامد" وكأنها منبع للترياق، ومصل لكل داء، لكنه ترياق معنوي يتخطى حدود الأدوية المادية الملموسة هذه البركة وجدوها مزيلة لأي مرض تحدثه أية آفة أو حشرة سامة ، وقد جاء ذكر هذه الهوام والحشرات صراحة في غير موضع عند الكاتب تعبيرًا منه عن صفات المكان كقوله : " .. أنه يا بني ذباب متمرس ، يعض ويطن ويزن ، وعنده حب عظيم لبني آدم ، إذا شمّ رائحتهم لازمهم ملازمة هشّ عنك يا بنيّ – قاتل الله النمتة"[٤]، مشيرًا بذلك إلى نوع من الحشرات من صفات المكان هناك ذبابة " النمتة " وهي أحد أنواع الذباب السام الذي تفرضه عليهم الطبيعة في بيئتهم المحلية في القرية السودانية، والذي يصيب المريض بالحمى، وتورم الوجه رغم أخذ كل التدابير اللازمة للوقاية من شرها، حيث وصفها الكاتب بالشياطين حين قال عنها : " إنها لن تقيك هذه الشياطين"[٥]، وليس هذا النوع فحسب الذي تفرضه الطبيعة، فهناك

أنواع أخرى أشار إليها الكاتب من خلال اعتماده على عنصر الزمان كما في قوله : " وتجيئنا صيفًا فتجد عندنا ذباب البقر ذباب، ضخم كحملان الخريف"[٦]؛ إذ اعتمد على عنصر الزمان؛ ليوضح صفة من صفات عنصر المكان دليلًا على صعوبة العيش في هذه البيئة المكانية.

ومن ثم يُلحظ أن المكان عند الكاتب في هذه القصة قد أدى دورًا محوريًا حتى صار بمنزلة البطل الحقيقي الذي تدور حوله الأحدث ؛ إذ أثرَّ في تشكلات عناصر بناء العمل القصصي ، وهذا ما يحاول البحث الكشف عنه .

وقد جاء هذا البحث وفقًا لمعطيات المنهج الفني لما وجدته في هذا المنهج من آليات استطعت من خلالها الكشف عن أثر المكان في هذه القصة على تشكلات العناصر المختلفة لها، التي أسهمت في إخراج العمل الفني على هذا النحو الإبداعي .

ولم تكن هذه الدراسة هي الوحيدة حول قصة " دومة ود حامد للطيب صالح"؛ حيث كانت هناك دراسات متعددة تناولت أعمال الطيب صالح بشكل عام، أما الدراسات التي تناولت قصة " دومة ود حامد" فقد جاء بعضها مقتصرًا على دراسة الشخصيات وأنواعها، وبعضها الآخر قام بدراسة سمات معينة للقصة، ولكن لم يتناول أحدٌ من الباحثين هذه القصة على النحو الوارد في هذا البحث ، ومن هذه الدراسات: بناء الشخصيات في قصة "دومة ود حامد للطيب صالح"، علي طرش ، مجلة الآداب واللغات بكلية الآداب جامعة البليدة بالجزائر، المجلد ٢٠١٦ ، العدد ١٥، ٣١ ديسمبر، سنة ٢٠١٦م، وأيضًا دراسة بعنوان: بعض خصائص الخطاب الإحالي في قصة دومة ود حامد للطيب صالح، شيخة عبدالمنعم ، مجلة الخطاب ، كلية الآداب واللغات ، جامعة مولود معمري، الجزائر، العدد ١٠ ، يناير ٢٠١٢م.

وقسّمت البحث على النحو الآتي :

المبحث الأول : أهمية المكان في قصة" دومة ود حامد" .

المبحث الثاني : أنماط المكان في قصة " دومة ود حامد" واشتمل على :

أولًا : الأماكن المغلقة.

ثانيًا : الأماكن المفتوحة.

المبحث الثالث : أثر المكان في تشكل عناصر قصة "دومة ود حامد" وجاء فيه :

أولًا : أثر المكان في تشكل الشخصيات .

ثانيًا : أثر المكان في تشكل الزمن القصصي .

ثالثًا : أثر المكان في تشكلات الحدث .

رابعًا : أثر المكان في لغة القصة .

وأخيرًا كانت الخاتمة ، و تجلت فيها أبرز نتائج البحث.

المبحث الأول

أهمية المكان في قصة "دومة ود حامد"

لاشك أن المكان عنصر رئيس في أي عمل قصصي، ولا تقل أهميته عن العناصر الأخرى المكونة للعمل، سواء عنصر الزمان، أو الأشخاص ، بل له دور مهم في تشكل أحداث القصة؛ " لذا يجب أن يهتم الكاتب القصصي بتحديد(المكان) اهتمامًا كبيرًا؛ لأن ذلك التحديد يعطي الحدث القصصي قدرًا من المنطق، والمعقولية"[٧]، فهو تلك البوتقة التي تمثل فضاء النص، ووسيلة المتلقي لإيجاد مساحة تخيلية في ذهنه لدوران الأحداث ، وعليه فإنه يمنح النص الحياة في مخيلة المؤلف، والمتلقي على السواء، وهنا يجد النص حيزًا مناسبًا عن المؤلف وجمهور القُراء ، ومصدر هذا الحيز إما واقع معيش يرصده المبدع، مخلعًا عليه سمات العمل الفني ، أو عالم افتراضي من وحي خيال المؤلف، فيقع على عاتقه مسئولية تشكل المكان، ولن يتحقق ذلك دون وعي ثقافي لمضمون النص، والبيئة التي نشأ فيها ، ويتطلب ذلك " وعيًا متناميًا من الكاتب تجاه المجتمع المراد الكتابة عنه، ويستوعب الكاتب نفسه العلاقات الاجتماعية، والثقافية، والسياسية المتبادلة بين الإنسان، ومجتمعه، و ارتباط هذه العلاقات بمكون المكان"[٨]، فللبيئة دور مهم في العمل القصصي، يتفاوت هذا الدور حسب رؤية كل كاتب ومدى اهتمامه "، ويدخل ضمن البيئة المكان بمظاهره الطبيعية، وصوره المادية المختلفة، أو بمجموعة هذه الأشياء مضافًا إليها القيم المعنوية للمجتمع "[٩]، ولعل الإمتاع الذي حققه " الطيب صالح" في قصته سواء على مستوى الشكل أول المضمون يتجلى في سمة اختص بها الكاتب وهي أنه عبّر عن مضمون هو جزء منه، وأحد أفراد هذا المكان، فهو يرصد حالة اجتماعية في مجتمعه السوداني؛ فيكتسب الكاتب وعيه الثقافي من هذه السمة التي اختص بها كونه ابن المجتمع الذي يعيش فيه

فيتأثر به، ويؤثر فيه بشكل تبادلي؛ مما يساعده ذلك على خدمة مضمونه في عمله الإبداعي؛ "فكل إبداع تتمثل إبداعيته في مقدار إضافته الكلية، والمعرفية، أو الوجدانية، أو العملية إلى سياقه المجتمعي والإنساني"[١٠] ، وقد استطاع "الطيب الصالح" أن يبرهن على موهبته الإبداعية في الفن القصصي من خلال هذا العمل الذي تتجلى فيه صورة مجتمع القرية السودانية آنذاك وفق المضمون الذي تناوله في هذا اللون من النثر الفني، حيث إن " أهم أشكال النثر التي عرفتها آداب العالم لتعبر عن روح الشعب وطبيعته هي الرواية والقصة"[١١]، وهذا ما نلمسه عند الطيب صالح في قصته " دومة ود حامد" فقد عبّر بصدق عن مجتمعه الصغير .

ومن ثم نجد أن أهمية عنصر المكان في العمل القصصي تأتي من حيث كون المكان هو العامل الرئيس في هذه القصة ، الذي وُسم العنوان به ، وكان المحور الأساسي الذي ارتبطت به كل الشخصيات بأمزجتها المختلفة حول تقبل المكان كما هو، بصفاته ومقوماته المحدودة هذا هي حال أهل القرية الذين يرون فيه حياتهم بما تحمله من ماضٍ موروث، وحاضرٍ معيش، ومستقبلٍ محفوظ مادام ضريح ود حامد عند الدومة موجود ، أو أولئك الأشخاص الذين يرفضون المعتقد السائد لأهل القرية حول سبب التمسك بوجود الدومة والضريح .

كما تتجلى أهمية المكان في تشكلات الزمن في القصة ، حيث إن جماليات السر في العمل القصصي تتحد بشكل عام وفقًا لتجليات المكان وعناصر القصة الأخرى ، فالزمن جزء من المكان ، والمكان قد يستمد سماته من الزمن، فهي عملية تبادلية، فحدودهما يؤدي إلى التماسك ، وتساعد على اكتمال البنية السردية للعمل.

ونستطيع القول بأن وظيفة المكان في العمل القصصي يقع على عاتقها السواد الأعظم في بناء العمل الفني، فالاهتمام بحسن تصوير المكان أحد أبرز خصائص العمل، ولعله عنصر مهم في استيعاب المتلقي للنص برمته؛ حيث يعد "

متحكمًا في حركة القصة فاعلًا فيها .. فهو يشارك في إظهار مشاعر الشخوص من خلال إيراد ما تتأملها، أو تحلم بها من أماكن"[١٢]، فالمكان هو العنصر الفني الأبرز في بناء القصة الذي يسمح للكاتب تحقيق هدفه من أي عنصر آخر من شأنه المشاركة في العمل نفسه ؛ فمن خلاله يستطيع الكاتب أن يعبر للمتلقي عن مضمونه ، وما يريد أن يعرفه الآخر ، فهو الأب للعناصر الأخرى ، إذ إنه الحيز "الذي يجتمع فيه العوامل والقوى التي تحيط بالشخصيات، وتؤثر في تصرفاتهم في الحياة، فالشخصيات بحاجة إلى مكان تتحرك فيه، والزمن بحاجة إلى مكان يحل فيه، والأحداث لا تحدث في الفراغ"[١٣] .

وهذا ما يُلحظ عند " الطيب صالح" في هذه القصة؛ إذ تتضح أهمية المكان من حيث كونه العنصر الرئيس الذي تدور حوله القصة، فما من عنصر يتعرض له الكاتب بالوصف أو جريان الأحداث إلا و دار حول المكان عند "الدومة" ومن الوهلة الأولى يشير الكاتب إلى ذلك ، كما في قوله :" لو جئت بلدنا سائحًا"[١٤] ، وقوله :" مرة جاءنا واعظ أرسلته إلينا الحكومة ليقيم عندنا شهرًا "[١٥]، حتى نجده يصل إلى جملة :" أنت لاشك راحل عنا غدًا"[١٦] .

يُلحظ في الأمثلة السابقة أن المكان يمثل البطل الحقيقي الذي استهل به الكاتب ، وتأزم به الصراع، ووصل إلى الخاتمة، وقفل بالمكان قصته ، فقد استطاع الكاتب التعبير عن هوية المجتمع بتوظيفه عنصر المكان بشكل يجعل المتلقي ينتقل من طور القارئ العادي إلى طور أكثر فاعلية أو بمعنى آخر طور معايشة النص القصصي حيث " تنبع أهمية المكان في العمل الأدبي لدوره الواضح في تجسيد رؤية الكاتب لهوية الإنسان ووجوده القائم على الأرض التي تنبع منها الرؤية"[١٧] وهذا ما تحققه الإشارات النصية المتعددة السابقة التي وظفها الكاتب للدلالة على المكان؛ ومن ثم تجسيده لواقع القرية في " دومة ود حامد"؛ وعليه جاء المكان حاملًا أهمية كبيرة أدت دورًا مهمًا في تشكلات عناصر البناء الفني للقصة، أحاول في هذا البحث إماطة اللثام عنها في الصفحات القادمة.

المبحث الثاني

أنماط المكان في قصة " دومة ود حامد"

لا شك أن تنوع أنماط المكان في العمل القصصي درب بديهي خاصة، إذا كان العمل يعتمد على عنصر المكان بشكل رئيس كما هي الحال في هذه القصة، وتتشكل أنماط المكان تبًعا لحاجة الكاتب في العمل لنوع المكان، ولعل الوصف المكاني الذي يصرف الكاتب جهده فيه، ويعطيه للمتلقي لخير معين على تحديد النمط المكاني؛ ومن ثم لا يأتي هذا الوصف محض صدفة، أو من قبيل الحشو فمن ناحية أخرى نجد أن " المنظر المكاني حالة من حالات الوعي بحقيقة من حقائق الوجود، ولا ريب أن بين (الإنسان والمكان) صلات متداخلة"[١٨] يستعملها الكاتب لخدمة الحدث القصصي، وبمطالعة قصة " دومة ود حامد" يُلحظ اعتماد الكاتب على نمطين رئيسين للمكان بجانب نمط ثالث – في ظني وبحثي – يمكن أن نطلق عليه المكان المساعد أو الثانوي؛ إذ لم يقف الكاتب عنده كثيرًا جاء في القصة ليشكل بنية محورية لتحول الأحداث أو تأزم الصراع ، حيث كان له دور في القصة استقت منه بعض الشخصيات الفكرة العقائدية الثابتة وأيديولوجية كانت لها أثر في الأحداث؛ فحمل هذا النمط المكاني معطيات مسبقة تجلت في بعض الشخصيات التي بدورها انعكست على جريان الأحداث بشكل معين في القصة، ولكن لم يرد كثيرًا بشكل نصي .

ويمكن النظر إلى نمطي المكان الرئيسين في القصة على النحو التالي :

أولًا : الأماكن المغلقة .

ثانيًا : الأماكن المفتوحة .

أولًا: الأماكن المغلقة :

يُقصد بالأماكن المغلقة هنا تلك الأماكن التي تحدها حدود هندسية واضحة المعالم، كالبيوت وما فيها من غرف معيشة، وهي أماكن تفضي فيها الشخصيات أوقات كثيرة من حياتها؛ فهي تعني الملاذ الذي تلجأ إليه الشخصية في نهاية اليوم أو في بدايته، ومن المفترض أن يمثل لها شعور الراحة والطمأنينة ؛ ومن ثم تنشأ علاقة الألفة والارتباط المكاني ، هذه العلاقة تأثر على سمات الشخصيات بالإيجاب، أو السلب حسب معطيات المكان ومؤثراته على الشخصية وبالتبعية تؤثر على أحداث القصة ، هذا بجانب الأماكن الأخرى المؤقتة التي تقصدها الشخصيات التي سبقت الإشارة إليها بالأماكن المساعدة، وتعددت نماذج الأماكن المغلقة في قصة " دومة ود حامد" كأماكن الترويح عن النفس، مثل: ضريح ود حامد ، والسينما، والمتاحف ، كما جاءت الإشارة إلى المستشفيات في غير موضع من القصة، كذلك وردت أماكن مغلقة وجد فيها الكاتب مصدرًا للقلق وعدم الارتياح كالسجون ، وتنوع الأماكن المغلقة في القصة جاء عند الكاتب لاعتبارات ودواعٍ كثيرة، لعل أظهر هذه الاعتبارات، وتلك الدواعي: الوجدان والعامل النفسي ، فباعتبار هذا العامل يمكن تقسيم الأماكن المغلقة على النحو الآتي :

١	أماكن مغلقة تبعث الشعور بالراحة والطمأنينة	ضريح ود حامد ودومته – السينما – المدرسة – المسجد – المتاحف
٢	أماكن مغلقة تبعث الشعور بالقلق	السجن
٣	أماكن مغلقة تحمل الشعورين معًا	بيوت القرية وما تحويه – المستشفى

١- أماكن مغلقة تبعث الشعور بالراحة والطمأنينة :

وردت في قصة " دومة ود حامد" أماكن كثيرة مغلقة، ولعل مكان ضريح "ود حامد" كان الأكثر مقصدًا في القصة، بل يعد هو البطل الرئيس فيها، وقد أشار الكاتب في مواضع متعددة من قصته إلى ذلك المكان ، وقد مثّل مصدرًا للراحة النفسية والشعور بالأمان لدى أهل القرية على مر الزمان، فلا خوف يشعرون به في ظل وجود الدومة والضريح، ولا ألم يدوم إن ألمّ بهم متى لجئوا إلى الضريح وتبركوا بالدومة ، وكأن الأماكن المغلقة أُغلقت في أعينهم عدا الدومة وضريح ود حامد فها هو الكاتب يقول :"يا شيخ ليس في بلدنا نريكه، ولكني أحب أن ترى دومة ود حامد"[١٩]، فهو يرى أنه متى ذُكرت "دومة ود حامد" خلت البلدة من كل الأماكن المغلقة التي قد تبعث في النفس الطمأنينة والراحة؛ حيث يؤثر الكاتب هذا المكان المغلق على بقية الأماكن الأخرى لبيان مدى قدسية هذا المكان عند أهل القرية ، ومن ثم ينعكس ذلك على المتلقي الذي بدوره يوليه اهتمامًا أثناء متابعة القصة ، فعليه قامت القصة بعناصرها المختلفة بشكل تبادلي، فكلاهما – المكان والعناصر الأخرى للقصة – يؤثر بعضه في بعض يأتي أثر المكان في تشكلات العناصر الأخرى، وتأتي العناصر الأخرى لتوضح أهمية المكان وخدمة المضمون المعبر عن قدسية المكان، وتأتي الإشارة النصية لدى الكاتب بكلمة "دومة" للدلالة على ضريح "ود حامد" الذي عند الدومة، وإليه نُسبت الدومة فهي تتخذ مصدرها من القصر ببركة الضريح .

وقد يقصد الكاتب المكان المغلق للتعبير عن متعة النفس والخروج من أجواء العمل والضغوطات المختلفة التي تخلفه الحياة، وذلك بتخصيص جزء من الوقت لقضاء أوقات فراغ كذكره زيارة أبناء البندر دور السينما أسبوعيًا كما في قوله: "وأنت لا شك يا بني تقرأ الجرائد كل يوم ، وتسمع الإذاعات، وتزور السينما مرة أو مرتين في

الأسبوع"[٢٠]، إذ عبّر عن زيارة السينما كمكان مغلق من شأنه أن يحقق الراحة للنفس والمتعة ، في حين يستخدم المستشفى كمكان مغلق للتعبير عن عادة أهل البندر في الذهاب إلى المستشفيات لأقل الأسباب المرضية مشيرًا إلى تعارض ذلك مع المجتمع القروي عندهم حيث يجدون الدواء من كل داء عند الدومة ، وبعد ذكره المستشفى فإنه يشير أيضًا إلى أماكن أخرى مغلقة، مثل : المدرسة، وكأنه يريد أن يأتي بعلامة سيميائية توضح أن الذهاب إلى المستشفيات لدى أهل البندر دلالة على الحقيقة العلمية، وربما هذا ما أشار إليه في قوله – مخاطبًا ذلك الشاب الوافد عليهم من أهل البندر – :" إذا مرضت فمن حقك أن تعالج في المستشفى ، وإذا كان لك ابن فمن حقه أن يتعلم في المدرسة"[٢١]، وبطريقة ما يقارن الكاتب بين الحياة في الأماكن المغلقة التي يقصدها أهل البندر ، وما يقابلها من الأماكن المغلقة عند أهل القرية التي تتمتع بالسمات نفسها سواء اتصفت براحة النفس، أو شقائها ، ولكن كل فريق حسب معطياته، فإن كان المكان المغلق الذي يعطي الشعور براحة النفس عن أهل البندر يتمثل في الذهاب إلى دور السنيما، فإنه المكان المغلق عند أهل القرية الذي يعطي الشعور نفسه يتمثل في الذهاب إلى ضريح ود حامد عند الدومة، وإن كان المكان الذي يجد فيه أهل البندر الدواء من كل داء هو المستشفى، فالمكان المغلق الذي يحقق لأهل القرية الدواء هو ضريح ود حامد عن الدومة أيضًا، ولكنه دواء معنوي لا مادي، ومما سبق نستطيع أن نخلص إلى المقارنة بين هذه الأماكن المغلقة ذات الصفات المتشابهة على النحو الآتي :

نمط المكان	أهل البندر	أهل القرية	سبب اللجوء إليه
المكان المغلق	السينما	ضريح ود حامد عند الدومة	راحة النفس ومتعتها
	المستشفى		البحث عن الدواء لداء ما

فالكاتب هنا يريد أن يضع في ذاكرة المتلقي بركة دومة ود حامد؛ ومن ثم الضريح حيث يرى أهل القرية أنه عند الدومة الخلاص من كل شيء ؛ وعليه فقد مثّل المكان المغلق عند الكاتب جانبًا إيجابيًا في حياة الشخصية مع اختلاف نوعها ، وهذا ما يثبته التناقض والتباين حول بركة المكان المغلق عند أهل القرية، هذه البركة هي اعتقاد سائد عندهم فقط، في حين أننا نجد شخصيات أخرى ترى عكس هذه البركة، وهم موظفو الحكومة الذين يأتون وافدين على القرية للعمل هناك، فلا يستطيعون مقاومة البيئة البائسة، والحياة القاسية خاصة انتشار الحشرات، وبالنظر إليهم نجدهم يحملون إلى المكان شعور الكره والبغض ، ومثل ذلك هذا الواعظ الذي أُرسل للقرية من قِبل الحكومة ليقيم شهرًا هناك للوعظ والإرشاد ، ولكنه حلّ عليهم في موسم " ذباب البقر" الذي أصاب الرجل بعدة أمراض فعندما عاده أهل القرية للاطمئنان عليه عرضوا عليه زيارة الدومة حيث الضريح فما كان من الرجل إلا أنه تحدث بجفاء شديد قائلًا : " والله لو كانت دومتكم هذي دومة الجندل ، وكنتم المسلمون مع علي ومعاوية وكنت حكمًا بينكم في يديّ هاتين مصائركم، ما تحركت من مكاني هذا شبرًا"[٢٢]، مشيرًا بذلك إلى مدى كرهه للمكان رغم قدسيته في نظر أهل القرية ، وهنا نلمس التنوع والتشاكل – أيضًا – للمكان نفسه بين الحب والكره ، يسعى الكاتب في مثل هذه الإشارات النصية إلى تنمية وعي المتلقي الثقافي مستعينًا بدلالة المكان المغلق، فيصبح المتلقي ملمًا بطبيعة المجتمع هذا الإملال يجعله مستعدًا لمتابعة الأحداث في شغف ودون ملل ، فعبر تسخير الكاتب لعنصر المكان المغلق من خلال معطيات القرية يحقق مبتغاه من النص؛ فهو – في هذا الموقف – يجعل الواعظ يسجل اعتراضه بالانغلاق على نفسه في مكان ما " البيت" خوفًا من الخروج إلى مكان ما آخر " عند الدومة والضريح،" وهنا يأتي تنوع دلالة المكان المغلق فالأول يمثل له ضربًا من النجاة والأمان، والثاني يوحي له ضرب من التهديد والخوف من ذاك الذباب الضار .

وقد أشار الكاتب في مثال آخر لهذه الخصوصية للمكان المغلق بالنظر إلى المكان المفتوح حين قال :" هيا بنا يا بنيّ إلى البيت، فليس هذا وقت الحديث خارج البيوت هذا الوقت قبل المغيب بقليل وقت يتسع فيه نشاط جيش النمتة قبل أن ينام"[٢٣] ، إذ ينتقل من المكان المفتوح " خارج البيت" فلا أمان في ظل انتشار جيش " النمتة" منتقلًا إلى المكان المغلق " البيت" حيث توفر سبل الأمان التي تقي من هذه الآفة.

وعليه نجد أن المكان المغلق قد أوحى بالشعور الإيجابي باعتبارات معينة، وكذلك دلّ على الشعور السلبي وفق اعتبارات أخرى ، وهناك أماكن مغلقة أخرى استعملها الكاتب للدلالة على الشعور السلبي فقط جعل أشخاص القصة يجمعون على ذلك من خلال الصفة العامة لهذا المكان كـ " السجن " مثلًا، فقد مثّل شيئًا سيئًا يملمُّ بالمرء، وإن كان لوقت مؤقت ، وهذا ما جاء عند الكاتب لمجاراة الأحداث وتأزم الصراع بين أهل القرية ، وموظفي الحكومة حين لاذوا بمجموعة من أهل القرية في السجن لاعتراضهم على إقامة المشروع عند الدومة، ولم يكن الاعتراض على المشروع الذي يرمز إلى التطوير في القرية ، وإنما على مكان الإنشاء الذي يتطلب معه إزالة الدومة، فيتخذ الكاتب هنا من عنصر المكان المغلق دلالة توضح أهمية توظيفه في خدمة النص، وإشارة إلى مكان آخر يمثل مصدر سوء لمن نزل فيه وهو " السجن"، ولكن يعبر هذا – أيضًا – عن مقدار التضحية والفداء من قِبل أهل القرية من أجل الدومة والضريح؛ ويتضح ذلك من قوله :" حتى أخذوا عشرين رجلًا منا، كنت أنا بينهم وحملونا إلى السجن"[٢٤]، فاستخدام المكان المغلق هنا يوحي بتسجيل الاعتراض ، وبيان أهمية المعتقد الديني عند أهل القرية، وتمسكهم به .

فالمكان المغلق في القصة كان له دور محوري في تشكل القصة بشكل عام، وعلى عناصر السرد الأخرى بشكل خاص استطاع " الطيب صالح" من خلاله

التعبير عن صورة المجتمع للقرية السودانية في هذه الناحية؛ وعليه يتنقل بالمتلقي من طور القراءة إلى طور معايشة النص مكانيًا .

ثانيًا : الأماكن المفتوحة:

يعد المكان المفتوح في العمل القصصي هو الفضاء الرحب الذي يطلق فيه الكاتب لنفسه العنان في الوصف وجريان الأحداث ، فهو كل الأماكن التي لا تحدها حدود مصنوعة كالبيوت وإنما هي مثل: الطرقات، والشوارع، والحدائق، وغيرها من الأماكن التي قد يُطلق عليها عامة، سواء برًا أو بحرًا ، ومن البديهي تنوعها في الأعمال القصصية على وجه العموم، وقد تباينت عند الطيب صالح في قصته " دومة ود حامد" بشكل خاص، ولعل تعرض الكاتب للقرية، وما فيها كان مصدر اهتمامه من الوهلة الأولى، وكأن المكان المفتوح، هو أهم معطيات الكاتب للمتلقي من أجل الدخول في خضم القصة بما له من دلالات كثيرة يستطيع عبرها جذب القارئ، وإشراكه في الأحداث، وهذا ما يُلحظ في أول جملة أُفتتحت بها القصة حين بدأ بقوله :"لو جئت بلدنا سائحًا"[٢٥] ، فهو يبدأ بذكر المكان " بلدنا"؛ لأهميته، وتغليبه على بقية عناصر العمل، وقد حاول الكاتب جاهدًا رسم الصورة كاملة في مخيلة المتلقي حين يشير بواسطة الجملة المستعملة للمكان المفتوح للدلالة على الوافدين من مكان آخر إلى القرية من أهل البندر بلفظ " سائحًا"، وهنا يؤدي المكان المفتوح دورًا مهمًا لبيان الفرق بين بيئة القرية، وبيئة المدينة، كما يُلحظ في قوله :"أنا أعرف يا بني أنك تكره الطرقات المظلمة، وتحت أن ترى ضوء الكهرباء يتوهج ليلًا، وأنت لست شغوفًا بالمشي، وركوب الحمير يحدث ندوبًا في مقعدك يا ليت يا بني يا ليت ... الطرقات المرصوفة في المدن المواصلات الحديثة .. العربات الجميلة المريحة ..."[٢٦]فمن خلال عنصر المكان يرسم الكاتب لوحة واصفة للمكان المفتوح في القرية، ومقارنته بالمكان نفسه في المدينة

ليوضح للمتلقي مفردات المكان المفتوح في البيئتين، فيعطي قيمة للعمل القصصي تساعد في استيعاب ، ويمكن النظر إلى هذه المقارنة المكانية وفقًا للجدول الآتي :

المكان المفتوح	إمكانات المكان المفتوح		
	الإضاءة	وسيلة المواصلات	حالة الطرقات
أهل القرية	مظلمة	المشي أو ركوب الحمير	ليس عندنا من كل هذا شيء
أهل المدينة	ضوء الكهرباء يتوهج ليلًا	المواصلات الحديثة العربات الجميلة المريحة	الطرقات المرصوفة

نستنتج من ذلك صعوبة عيش أهل القرية لفقدها أبسط الإمكانات المادية، في مقابل الراحة التامة التي يجدها أهل المدينة نتيجة توفر تلك الإمكانات المادية؛ إذ نجد اعتماد الكاتب على عنصر المكان المفتوح لرصد مفردات التناقض بين بيئتين مختلفتين، ساعده في عرض الأحداث بطريقة تسهم في استيعاب النص القصصي والتعبير عن المضمون المتمثل في بركة "دومة ود حامد" ورفض الآخر – الغريب عن القرية – لمثل ذلك المعتقد كما فعل الزائر الذي أطلق عليه الكاتب "سائحًا " رغم الصفة التي يعنيها المصطلح من حيث ارتباطه بالسفر من أجل الترويح عن النفس، والتعرف على الآخر، والاستمتاع بذلك إلا أنه صرح بعكس ما للصفة من خاصية حين قال:" سترحل عن بلدنا غدًا، أنا واثق من ذلك"[٢٧] فهو يؤكد نتيجة مستقبلية لدى غيره؛ ليقينه المسبق في معطيات المكان المفتوح، التي لاشك منبع ثقته في قوله ، فمقومات المكان هنا تجعله يتوقع رحيل الزائر، ويعكس للمتلقي في إشارة نصية جديدة صعوبة الحياة في هذه القرية، ولكن يأتي الشعور بالتعصب للمكان ليجد له سبيلًا يعطي دلالة

حب الوطن الصغير – القرية – حين يعبر الكاتب بقوله :" لكن قريتنا يا بني شهدت والله رجالًا كبارًا ذوي حول وطول وأسماء في البلد مثل الطبول ..... جاؤوا والله أفواجًا أفواجًا "[٢٨] معللًا أسباب الزيارة التي لاشك تكمن في بركة دومة ود حامد ، فهو في هذا الموقف يوظّف المكان المفتوح للتعبير – أيضًا– عن شعورين متناقضين نتيجة للأسباب السابقة ، ثم يأتي بذلك السائح لهذا المكان – عند الدومة – إيمانًا منه ببركة المكان التي ستحول السائح من الكره إلى الحب للمكان ؛ إذ يقول – في وصف المكان عند الدومة :" انظر إليها شامخة برأسها إلى السماء انظر إليها ضاربة بعروقها في الأرض انظر إلى جزعها المكتنز الممتلئ كقامة المرأة البدينة، وإلى الجريد في أعلاها كأنه عرف المهر الجامحة"[٢٩] .

يعبر الكاتب عن إعجابه الشديد الذي يخلعه – أيضًا – على المتلقي في الفقرة السابقة من القصة مستعينًا بالتنوع الأسلوبي بين الخبري والإنشائي في وصف المكان على النحو التالي :

(أسلوب إنشائي نوعه أمر) ⇦ (أسلوب خبري)

انظر إليها ⇦ شامخة برأسها إلى السماء

انظر إليها ⇦ ضاربة بجزورها في الأرض

انظر إلى جزعها ⇦ المكتنز الممتلئ كقامة المرأة

و– انظر – إلى الجريد ⇦ كأنه عرف المهر الجامحة

فهو ينوع بين الطلبي (الأمر)، والخبري طالبًا من الآخر التأمل المصحوب بالإعجاب للمنظر الطبيعي المتمثل في الدومة التي تستقي بركتها وجمالها من وجود ضريح ود حامد هناك ، بل نجده يكمل إعجابه بالمكان الذي يرى فيه احتواء القرية

والقُرى الأخرى حين يقول :" بل إنك لتراها وأنت في رابع بلدة من هنا"[٣٠] مشيرًا بذلك إلى شموخ الدومة وعظمتها.

ومن ثم فقد مثّل المكان المفتوح في القصة أحد أبرز الروافد التي استطاعت تجسيد الحدث ، وإلهام الكاتب وفق آليات كثيرة من شأنها العمل على سبر أغوار النص خاصة عند الحديث عن الفكرة الرئيسة للقصة، وهي الدومة وبركتها المستقاة من ضريح "ود حامد"، تلك الحقيقة المطلقة لدى أهل القرية التي يجدونها في اليقظة والحلم ، فكما عبّر عنها الكاتب في الواقع المعيشي نجدها يوظّفها في أحلامهم ، كقوله :" يصحو الرجل من نومه فيقص على جاره أنه رأى نفسه في أرض رملية واسعة .."[٣١] فهو يشير إلى الأرض الواسعة للدلالة على المكان المفتوح الذي يصف فيه صعوبة السير وسط ما لحقه من ظمأ وجوع ليصل في نهاية المطاف عند مكان آخر يجد فيه الملاذ والمأوى؛ فيقول:" فما هي إلا خطوة وخطوة حتى وجد نفسه تحت دومة ود حامد، ووجد إناء فيه لبن، رغوته معقودة عليه، كأنه حلب لساعته، فشرب منه حتى ارتوى، ولم ينقص منه شيء، فيقول له جاره أبشر بالفرج بعد الشدة"[٣٢]، فبمجرد الوصول إلى هذا المكان الطاهر المقدس يحدث بعد العسر يسر، ونجد هنا اعتماد الكاتب على المكان المفتوح لعرض أحداثه التي تبين تأزم الصراع المؤقت الذي يوضح الفكرة الرئيسة للقصة، فيعبر عن المأساة والتعب، لينتقل منه إلى مكان آخر يجد في السعة والراحة بعد الأين والنصب، ولعل هذا ما جعل الكاتب يشير إلى قدسية المكان في موضع آخر من القصة على لسان رئيس الحكومة عند توبيخه للحكومة الأخرى لموقفها العدائي ضد أهل القرية ودومتهم بقوله :" اسألوه كيف أباح لنفسه أن يرسل جنده وأعوانه، فيدنسوا ذلك المكان الطاهر المقدس؟ وحمل الناس على الصيحة"[٣٣]، فبالإشارة الصريحة إلى قدسية المكان وضح الكاتب أهميته ، ومن ثم أكد وسم العنوان بـ " دومة ود حامد".

استطاع " الطيب صالح" أن يأتي بالمكان المفتوح في قصته معتمدًا إلى التنوع المكاني؛ ليجعل منه مصدرًا دالًا على مضمون القصة فجاء به ليعبر عن متناقضات كثيرة، مثل: الفرج بعد الضيق ، الشفاء بعد المرض ، الراحة بعد التعب، والطمأنينة بعد الخوف ، في حين نجده عبر من خلاله عن أيديولوجيات متباينة للشخصيات تتضح عند الحديث عن أثر المكان في العناصر المختلفة للقصة، وقد اختتم قصته – أيضًا – بيان دلالة المكان المفتوح من حيث القدرة المادية التي يشير بها إلى السعة حين قال :" إن المكان يتسع لكل هذه الأشياء يتسع للدومة، والضريح، ومكنة الماء، ومحطة الباخرة "[٣٤]؛ إذ يعطي للقارئ بيانًا يوضح فيه اتساع القرية لكل جديد من شأنه التطوير، ولكن دون المساس بالمعتقد الديني لأهل القرية، مازجًا من خلال توظيف المكان بين القديم والجديد.

المبحث الثالث

أثر المكان في تشكلات عناصر قصة "دومة ود حامد"

رغم كون المكان أحد عناصر تشكل العمل القصصي إلا أنه يعد أبرز هذه العناصر بما له من سمات تجعله يمثل الفضاء الذي تتشكل من خلاله العناصر الأخرى للعمل نفسه، إما بتأثيره فيها وفق كافة المعايير الخاصة بكل عنصر، أو جريان الأحداث في ثنايا مكانية يهيئها الكاتب لتناسب الأحداث؛ وعليه، فعلاقة المكان بالعناصر الأخرى هي علاقة تلازمية قد يمثل فيها عنصر المكان الكل الذي يشمل الجزء أو الأجزاء ؛ حيث " يعد الحاوي لهذه العناصر، فالمكان هو الكل، وليس الجزء، وعناصر السرد الأخرى ما هي إلا أجزاء تجتمع في فضاء واحد هو المكان"[٣٥] ، وبمطالعة قصة دومة ود حامد نجد أن عنصر المكان له أثر واضح في تشكل عناصر القصة الأخرى سواء كان عنصر الشخصيات، أو الزمان ، أو الأحداث، نحاول في الصفحات القادمة الكشف عن هذا الأثر .

أولًا : أثر المكان في تشكل الشخصيات:

تتشكل الشخصيات في القصة تبعًا للبيئة المكانية والإمكانات التي يتمتع بها المجتمع، ومستوى الحياة فيه؛ وحيث إن أبرز صفات الشخصية تتضح بالنظر إلى عنصر المكان، وأثره في الحال النفسية للشخصية، وكذلك الصفات الجسدية، "وشخصية كل إنسان مشتقة من عناصر أساسية، هي مولده، وبيئته، وسلوكه، والظروف التي تعترض طريقه"[٣٦]، وقد كان للمكان في قصة " دومة ود حامد" هذا الأثر البيّن في الشخصيات، خاصة أن القصة اشتملت على شخصيات ذات صفات نفسية وسوسيولوجية، بعضها ينتمي للبيئة المكانية للقصة ؛ ومن ثم تقبل فكر أهل القرية ومعتقداتهم التي قامت من أجلها النص القصصي ، وبالتبعية انعكس على الحالة المزاجية والفكرية لمثل هذه الشخصيات، في حين أثرت هذه الأفكار والمعتقدات في

الشخصيات التي لا تنتمي للمكان بالسلب؛ فكان نتيجة ذلك الأثر السيئ في الشخصيات ظاهرًا على أحوالها النفسية والجسدية، وقد استطاع الكاتب أن يعبّر عن الوصف المكاني للقرية التي مثّلت فضاء النص المكاني، وتصوير صعوبة العيش والحياة القاسية، وسط انتشار كمٍ من الأوبة؛ نتيجة كثرة الحشرات الضارة ،ومدى انعكاس هذه الصفات المكانية ، وأثرها في تشكل الشخيصات سواء بتقبل هذا كله من قِبل أهل القرية حين قال :" نحن قوم جلودنا تخينة ليست كجلود سائر الناس لقد اعتدنا على هذه الحياة الخشنة، بل نحن في الواقع نحبها "[٣٧] ، وهنا نلحظ تقسيم الشخصيات عند الكاتب وفقًا للظروف المكانية، وما تحمله من صفات، فهو يرى في الصفات الجسدية لأهل القرية اختلافًا كليًا عن سائر الناس، رامزًا بذلك إلى الشخصيات الوافدة على القرية، وكذلك الحال للحالة النفسية التي يصفها بحب المكان من قِبل أهل القرية، ومن ثم العكس للشخصيات الوافدين عليها .

فهو يرصد للمتلقي أثر المكان في المكونات الجسدية والنفسية للشخصية، ويرى هذا الأثر الجسدي على الشخصية القروية حين يصفها بقوله :" جلودنا تخينة" وبهذا الوصف يجعلها مناسبة لمقاومة البيئة المكانية، ما تحتويه من أوبة ؛ فتأقلمت الشخصيات هناك مع المكان ، وعندما يصف الكاتب شخصية على حدة لشخصيات هذه البيئة، فإنه يستقى وصفه من مفردات المكان، فيأتي وصفه مناسبًا للشخصية كقوله:" كانوا يسموننني "التمساح "، مرة عمت النيل أدفع بصدري مركبًا موسومة قمحًا إلى الشاطئ الآخر"[٣٨] ، فجاء وصف شخصيته بالتمساح؛ لتناسب طبيعة المكان وهو النيل ، ولم يصفها بالأسد على عادة العرب للتعبير عن القوة والشجاعة ، ولكن هذا الوصف يتناسب مع الظروف الطبيعية للمكان ، كما يلائم صعوبة العيش في مكان انتشرت فيه مصادر الأوبة المختلفة من الحشرات .

وفي غير إشارة نصية من القصة قارن الكاتب بين أثر المكان في الشخصية في القرية ، والمدينة موضحًا للمتلقي أهمية عنصر المكان في تشكل هذه الشخصيات بشكل عام ، فحين يعرض للعامل الجسدي بين مرض الشخصية وكيفية علاجها نجده يبدأ ذلك من خلال طرح السؤال بقوله :" ماذا نفعل حين نمرض؟"[٣٩]، ثم يعرض لكيفية العلاج عند الشخصية من أهل البندر بسرعة الذهاب إلى المستشفى لأقل الدواعي المرضية بقوله :" إذا جرح أصبع الواحد منكم هرع إلى الحكيم فلفه في عصابة وعلقه على رقبته أيامًا وهو مع ذلك لا يطيب"[٤٠]، أما عند الشخصية القروية فإن الأمر بسيط فلديهم العلاج من البيئة إذ المكان خير معالج، فهم في الملمات والمصائب الكبرى يذهبون إلى ملاذهم الأول " دومة ود حامد"، أما إن كان الأمر عاديًا فكل واحد منهم حكيم نفسه يداوي نفسه، بنفسه دون الحاجة إلى طبيب حيث كان للمكان أثر في الشخصية يتجلى في مثل هذه المواقف الصغير، وقد وضح الكاتب ذلك حين عبر عن الموقف إثر عضة الثعبان في الحقل بقوله :" فمسكته من رأسه وسحقته بين أصبعي ثم عضضت أصبعي الملدوغ، ومصصت منه الدم وأخذت حفنة من التراب، فدلكته بها، بيد أن هذا أمر طفيف"[٤١] ، فالخلفية الثقافية للشخصية في الأمور المرضية عند الكاتب جاءت متباينة بين الشخصية عند أهل القرية ، والشخصية عند أهل البندر، وكان عنصر المكان هو المتحكم في مضمون هذا التباين، ويمكن رصد ذلك على كما يلي:

المكان	الشخصية	مكان العلاج	نوع الإصابة	مستوى الخطورة	كيفية العلاج	النتيجة
المدينة	أهل البندر	المستشفى	جرح في الأصبع	أمر عادي	عن طريق الحكيم بالطرائق العلمية	قد لا يطيب
القرية	أهل القرية	الدومة أو مكان الإصابة	عضة ثعبان في الأصبع	قد يؤدي إلى الوفاة	عضه بنفسه ومص سمه وتدليكه بالتراب	ثم علاجه

وبقراءة الجدول السابق يتضح من خلال المقارنة بين موقف الشخصيتين مدى أثر المكان في تشكل ثقافة الشخصيتين ، وكيف أدى دورًا مهمًا في تكونها في القصة، وقد يؤثر المكان على الشخصيات نفسيًا وجسديًا معًا ما بين القبول والرفض لدى الكاتب، حيث وضح ذلك عند عرضه لبعض الشخصيات الثانوية في قصته، كهذا الواعظ الذي أرسلته الحكومة إلى القرية ، وقد كان للمكان أثر بالغ فيه نفسيًا وجسديًا يتضح من خلال مواقفه الرافضة للمكان نتيجة ما حلّ به إثر تعرضه للإصابة بلدغات ذباب البقر وضح هذا الرفض في رسالته إلى مرسليه، التي يقول فيها :" ذباب البقر، أكل رقبتي، والملاريا حرقت جلدي، والدستناريا غرست أسنانها في أحشائي، أقيلوا عثرتي يرحمكم الله، هؤلاء قوم لا حاجة لهم بي، ولا بواعظ غيري"[٤٢]، يتضح من رسالته السابقة مدى الرفض المصحوب بالبغض للمكان وقاطنيه؛ نتيجة لأثر المكان فيه، في حين يرى أهل القرية ضد ما ذهب إليه الواعظ ،يتجلى لنا ذلك في موضع آخر من القصة عندما وضح الكاتب أثر المكان في شخصية ثانوية يشبه موقفها موقف الواعظ، ولكن مع تبابين بين الشخصيتين؛ نتيجة لأثر المكان فيهما، وهي هذه المرأة التي وصفها بالجارة، والتي تورم حلقها قرابة شهرين ظلت خلالهما طريحة على فراشها، كما حدث للواعظ، ولكنها حين ازدادت الحمى " وتروى المرأة ما حدث ... وناديت بأعلى صوتي يا ود حامد جئتك، مستجيرة، وبك لائذة، سأرقد عند ضريحك وتحت دومتك، فإما أمتني، وإما أحييتني ...ورأيت شيخًا مهيبًا أبيض اللحية ناصع الرداء، يتقدم نحوي وعلى وجهه ابتسامة، وضربني بسبحته على رأسي، وانتهرني قائلًا قومي ... وجئت إلى بيتي ... وأيقظت زوجي ... وقلت لبناتي زغردن ... وقسمًا ما خفت بعدها ولا مرضت"[٤٣]، ففي موقف الواعظ يُلحظ بغضه للمكان وأنه مصدر الوباء ولا يبالي بكرامة ود حامد ولا دومته ويرى النجاة في الرحيل، وهذا ما عبر عنه في خطابة لرؤسائه في الحكومة التي أرسلته إلى تلك القرية، أما المرأة فهي لا تجد النجاة إلا في

المكان، والتبرك بضريح ود حامد والدومة، ويمكن رصد أثر المكان في الشخصيتين وفقًا لما يلي:

الشخصية	المكان	علاقة الشخصية بالمكان	الشعور تجاه المكان	الحالة المرضية	طريق النجاة	الأثر المكاني
الواعظ	القرية	منتقل للعمل	رفض وبغض	لدغات ذباب البقر – دستناريا – ملاريا	استغاثة برؤسائه من أجل الرحيل	يؤثر نفسيًا وجسديًا بالمرض الذي علاجه الرحيل
الجارة		من سكان القرية	قبول وحب	حمى وتورم الحلق	استغاثة بود حامد والتبرك بالضريح	يؤثر نفسًيا وجسديًا بالمرض الذي يجد علاجه في المكان

يتجلى أثر المكان في الشخصيات نفسيًا بالحب حينًا، وبالكره مرة أخرى ، وجسديًا بالأمراض المختلفة، فمتى كانت الشخصية ذات صفات مكانية تدل على الانتماء للمدينة أو المكان المختلف عن أهل القرية رأينا الشعور السلبي، ورأينا عكس هذا الشعور – الشعور الإيجابي – من قِبل الشخصية المنتمية للقرية؛ مما يوضح ذلك العلاقة الحتمية لأثر المكان في الشخصيات في القصة .

هذه العلاقة تعطي للمكان قوة التحكم في عنصر الشخصية وفق المكونات المختلف للشخصيات، حتى في طريقة الملبس التي لم يغفلها الكاتب ؛ فهو عند

الوصف المادي للشخصيات يصفها من بطريقة توضح أثر المكان فيها كقوله – مثلًا – " صحونا ذات يوم فإذا موظف، ذو قبعة ضخمة، ورأس صغير، ومعه جنديان"[٤٤]، عبّر عن الغريب بوصف مشيرًا إلى قبعته الكبيرة، فهم في قريتهم لا يعرفون مثل هذه الأشياء؛ فالارتباط المكاني أدى إلى تابين سمات الشخصيات ماديًا ومعنويًا على النحو السابق للأحداث المختلفة؛ ومن ثم نرى أثر المكان يتجلى في الشخصيات، ويقسمها إلى ثلاثة أنواع تتضح من خلال ما يلي :

ود حامد	أهل القرية	أهل البندر
رجل ،ورع، تقي رمز ديني، يرون فيه حلّ الأزمات	منغلقون عن العالم الخارجي يعيشون حياة عصيبة يحبون المكان	أهل ترف متعلمون يبغضون حياة القرية

وعليه نجد هناك اختلافات كثيرة للشخصيات ، هذه الاختلاف نتيجة لأثر المكان فيها كحال أهل القرية الذين تقبلوا المكان رغم صعوبة الحياة؛ حيث كان دائمًا مصدرًا باعثًا للتفاؤل والبهجة؛ لوجود دومة ود حامد، والضريح الذي نُظر إليه نظرة الأمان من كل شر فهو – إن جاز لنا – شخصية مسطحة " لا تكاد طبيعتها تتغير من بداية القصة حتى النهاية، وإنما تثبت على صفة واحدة تكاد لا تفارقها"[٤٥] ، فما أن علا صوت أحدهم مناجيًا ود حامد إلا وتجلت له الشخصية التي يصفها الكاتب دائمًا بالبياض الناصح خلقةً وملبسًا، سواء في الوجه، أو اللحية، أو اللباس حتى المسبحة في يده كأنها الكهرمان؛ معبرًا بذلك عن دلالة اللون الأبيض في الصفاء والنقاء، فعنده الهدوء، والأمان بعد الفزع، والخوف.

ثانيًا: أثر المكان في تشكل الزمان القصصي :

عادة ما يعمل الزمان في العمل القصصي على تباين المكان، ولعل هذا ما يتضح في التنوع الزماني من فترة لفترة داخل العمل الواحد ، فلاشك في ارتباط المكان

والزمان في أي عمل ، وأن الكاتب يستقي من مفردات المكان ما يتناسب مع الوقت الزمني فينعكس ذلك على الوصف المكاني ، وما هو موجود في مكان ما، وفي زمان معين قد يُفقد في المكان نفسه مع زمن مختلف أو يغدو في ذاك الزمان بمنزلة الطلل الزائد، "والزمن ضابط الفعل، وبه يتم، وعلى نبضاته يسجل الحدث وقائعه" [٤٦]،وبمطالعة قصة " دومة ود حامد" يُلحظ ثمة اختلاف لطبيعة العلاقة بين المكان والزمان ؛ حيث نجد أثر المكان جليًا في الزمن القصصي، الذي يوضح فيه الكاتب ثبات المكان رغم تعاقب الأزمنة ، وهذا ما صرح به عندما يتحدث عن عقيدة أهل القرية حول "دومة ود حامد" كقوله – على سبيل المثال – :"ولكن بلدنا هذا قام دفعة واحدة أهله لا يزيد عددهم ولا ينقص، وهيئته لا تتغير ومنذ كانت بلدتنا كانت دومة ود حامد"[٤٧] ؛ وعليه نجد المعتقد السائد عند أهل القرية ثبات في كل شيء رغم مرور الزمان وتعاقبه خاصة متى ارتبط الحديث بالمكان المقدس لديهم، ولكن هذا لا يمنع تعاقب الفصول ، ولكن دون المساس بهيئة الضريح وهيبته، وقد رأي الكاتب أن تعاقب الفصول ارتبط بانتشار الأوبئة المختلفة في القرية ، ووظف عنصر الزمان بشكل أسهم في التعبير عن أحوال القرية في الفصول المختلفة كقوله :

(الزمن) : فصول السنة	الحدث
تجيئنا شتاءً وقت لقاح النخيل	ترى سحابة داكنة .. هذا سرب واحد من أسراب النمتة التي تربط على الداخلين إلينا أفواه الطرق
تجيئنا صيفًا	تجد عندنا ذباب البقر ذبابًا ضخمًا كمحلان الخريف
تجيئنا في وقت لا صيفًا ولا شتاءً	فلا تجد شيئًا[٤٨]

إذ يربط الكاتب بين عنصر الزمان، والمكان وما يحدث فيهما وفقًا لانتشار تلك الحشرات ؛ فيعبر عن الشتاء بانتشار حشرة النمتة ، ثم يربط بين ذباب البقر الذي يصفه كحملان الخريف لضخامته وفصل آخر من فصول السنة – الشتاء – ، ولا يغفل الإشارة إلى فصول السنة الأخرى التي يرمز إليها بقول :" وقت لا صيف ولا شتاء" يعرّفها بالضد دون التصريح بها، فلا شيء من تلك الآفات يأتي في أوقاتها، ومن هنا نجد الكاتب يوضح العلاقة التي تربط بين عنصري الزمان والمكان تبعًا لانتشار لهذه الحشرات في قريتهم بأسلوب موجز، أما عن الحياة في أحداثها اليومية المختلفة في القرية، ودور عنصر الزمان فيها فنجده يربط ارتباطًا يجعل للمكان دورًا مهمًا في تشكل عنصر الزمان، فيربط بعوامل نفسية متباينة ، لذكره ليوم الأربعاء عصرًا الذي يحمل دلالتين مختلفتين كان للمكان أثر فيهما ، بل يتولد حدثًا اشتمل على شعورين أحدهما يوحي بالراحة؛ لأنه موعد زيارة ضريح ود حامد ، والآخر يعطي مؤشرًا بالقلق والغضب نتيجة الصراع الذي أدى إلى نشوب معركة بين أهل القرية والجهات الحكومية لتعارض موعد زيارة الضريح مع موعد مرور الباخرة عند الدومة حالة إقامة هذا المشروع ، وجاء ذكر ذلك في قوله :" إن الموعد الذي سيحدد لوقوف الباخرة في محطتهم سيكون في الرابعة عصرًا بعد الظهر من يوم الأربعاء فرد عليه الرجل : لكن هذا هو وقت نزور فيه ضريح ود حامد عند الدومة"[٤٩]، فما كان من الموظف إلا أنه رد بسخرية وتهكم قائلًا:" إذا غيروا يوم الزيارة"[٥٠]، وقد عرّج الكاتب بمدى سخط الناس وغضبهم الشديد الذي عبر عنه بقوله :" لو أن ذلك الموظف قال لأولئك الرجال في تلك اللحظة كلًا منهم ابن حرام، لما أغضبهم كما أغضبتهم عبارته تلك"[٥١]، فقد انهالوا على الموظف ضربًا وفتكوا به، وهنا يعتمد القاص على الدور المحوري الذي يؤديه الزمن في جريان الحدث سواء من خلال الألفاظ الدالة على الزمان أو الأفعال التي تحمل دلالة الزمن " وإذا كان دور الزمن أبرز من دور المكان؛ لأن الفعل في اللغة لا ينفك عن الزمن، فإن

المكان يتلبّس الفعل أيضًا ولو ضمنًا، ومن دونه يبقى المعنى ناقصًا" [٥٢]، وهذا ما يتضح للمتلقي حين يرى أثر المكان في الحدث، وكذلك على الزمن القصصي.

فالعلاقة التلازمية بين عنصري الزمان والمكان هي التي شكلّت الحدث بشكل يوضح الفكرة الرئيسة للقصة، تلك الفكرة التي يصبو الكاتب إلى ترسيخها في ذهن المتلقي بشكل فني، يوظّف فيه آلياته المختلفة ؛ مما يعطي العمل قيمة فنية تبرهن على تمكن المؤلف، وقد اعتمد الكاتب على هذه العلاقة طوال السرد القصصي حتى وصل إلى نهاية القصة فيغلقها مستعينًا بأثر المكان في عنصر الزمان كما في قوله :" أنت لاشك راحل عنا غدًا، فإذا وصلت حيث تقصد فاذكرنا بالخير "[٥٣]، فيختتم قصته بطريقة يبيّن فيها موعد انتهاء رحلة السائح والانتقال من مكان إلى مكان آخر يرجو فيه الأثر الطيب .

ثالثًا : أثر المكان في تشكلات الحدث :

يعد الحدث القصصي أحد العناصر الأساسية التي تُبنى عليها القصة ، بل يمثل عنصرًا رئيسًا لتصاعد الصراع وشكلًا فاعلًا في تزعم الحوار حيث:" يكون العمود الفقري لمجمل العناصر الفنية"[٥٤]، وعادة ما يتكون الحدث في العمل القصصي من فرض قد يكون واقعيًا أو غير واقعي حسب معطيات الكاتب، وما يراه مناسبًا لنصه الفني؛ فهو "عبارة عن معادل موضوعي لقضية فكرية، يريد المؤلف أن يوصلها إلينا بشكل فني"[٥٥]، فالحدث يأتي في العمل القصصي؛ ليشمل المضمون الذي يرنو المؤلف إلى إقناع المتلقي به بكل ما يحمل من أمور اجتماعية ونفسية وتوجهات من شأنها التأثير في مجرى الأحداث، " فالحدث جزء من حياة الإنسان يؤثر في جريانها ويؤثر في تكوين الشخصية البشرية نفسيًا وثقافيًا، حسب تراكم الخبرات"[٥٦] .

قد تتطابق الأحداث مع الواقع الذي يقصده الكاتب في نصه بيد أنه قد يكون من محض خياله؛ نتيجة خبرات سابقة ينسج من خلالها أحداثًا تلبي فكرة ما يريد

من المتلقي تصديقها والإيمان بها، وهنا تكمن المهارة الإبداعية لكل كاتب ومدى قدرته على تسخيرها لخدمته لنسخ أحداثه ، ولعل عنصر المكان أحد أبرز مكونات هذه المهارة التي تخدم الحدث؛ لأنه يمثل أحد المصادر المهمة الملهمة لتشكلات الحدث لدى المؤلف ، وقد جاء هذا واضحًا في قصة " دومة ود حامد" حيث نجد صناعة الحدث عنده تتجلى عبر تقنيات المكان ، قد تشاكلت الأحداث لاعتماد المؤلف في قصته على الحكي والاقتباس من مواقف حياتية سابقة قد وقعت بالفعل في قريته مثّل الكاتب فيها دور الراوي، وقد اعتمد على خلق شخصية من نسج خياله يحكي لها ، وهي شخصية ذلك السائح الذي استهل به القصة، وقد كان لذلك أثر في تعدد البطولة، فكان لكل حدث بطل نتيجة لأثر المكان في الأحداث المختلفة .

تباينت الأحداث في قصة " دومة ود حامد" وجاءت لتدور حول أهمية الضريح عند الدومة سواء على صعيد المكان المغلق، أو المفتوح؛ كان " ود حامد" هو الحدث الأكبر أو الرئيس ، وما دار على لسان الراوي من حكايات عبّرت عن أحداث صغيرة أدت منطقيًا إلى الفكرة الرئيسة للقصة المتمثلة في بركة تلك الدومة نتيجة ضريح ود حامد؛ وعليه تنوعت أحداث القصة، وتأزم الصراع في كل مرة ، ثم يأتي الحل في نهاية كل حدث يمكن في بركة دومة ود حامد ، يظهر ذلك من خلال الجدول[٥٧] الآتي :

الحدث	المكان	أثر المكان(الحل)
رجل يمشي حتى غاصت رجلاه في الرمال في صحراء قاحلة يصاب بالجوع والعطش والرمال لا تنتهي، ثم يصل إلى	أرض رملية واسعة لا تنتهي (مكان مقفر). دومة ود حامد	وجد نفسه عند دومة ود حامد، ووجد إناء فيه لبن طازج، شرب حتى ارتوى وزال تعبه.

الحدث	المكان	أثر المكان(الحل)
دومة ود حامد	(مكان آمن)	
امرأة في مركب سائر في مضيق في البحر .. ثم تهوي في قاع سحيق مظلم .. أخذت في الصراخ أصيبت بالذعر فصاحت بأعلى صوتها يا ود حامد	مضيق مظلم في البحر	رأت على الشاطئ دومة ود حامد، ووقف القارب تحت الدومة، ثم مدّ يده وأخرجها.
جارتنا تورم حلقها فأقعدها ذلك ملقاة على الفراش وازدادت حالتها سوءًا	أتت دومة ود حامد	أصوات ترتيل قرآن، ونور أحد وشيخ، ذو لحية بيضاء، وثياب ناصعة البياض يضربها بمسبحة قائلًا قومي ثم شفيت من كل علة.
تريد الحكومة هدم الضريح وإزالة الدومة، ثم اعتراض أهل القرية والزج بهم في السجن.	عند الدومة. دخول السجن.	انتهاز المعارضة للموقف أدي إلى سقوط الحكومة وتشكيل حكومة أخرى تفرج عن أهل القرية، وتقدس المكان.

من خلال الأحداث السابقة نجد أن المكان هو المتحكم الرئيس فيها ، بل يُلحظ أثر المكان في تلك الأحداث يتجلى في ارتباط الصراع بعنصر المكان، فلا مفر من المكان للوصل إلى الحل " وهكذا يا بني ما من رجل أو امرأة أو شيخ يحلم في ليلة إلا ويرى دومة ود حامد في موضع ما من حلمه"[٥٨] فتطور الأحداث يرتبط بالمكان والشخصية التي تقطن المكان فلا نغفل أهمية المكان تأتي من خلال وجود "ضريح ود

حامد" حيث " يرتبط الحدث بالشخصية في الأعمال القصصية ارتباط العلة بالمعلول"[٥٩] فهذا أثر الدومة والضريح بجانب الأحداث الأخرى، التي كان المكان – أيضًا – سببًا رئيسًا في جريانها .

فقد جاءت الأحداث في القصة مبنية على تجليات المكان المتمثل في بركة "دومة ود حامد" من قِبل أهل القرية ، كيف عبّر الكاتب عن الطبيعية المكانية وصعوبة العيش فيها للآخر من الوافدين على القرية ، وقد تشاكلت الأحداث الدالة على صعوبة الحياة هناك، وكان المؤثر الحقيقي وراء حدوثها عامل المكان الذي اتصف بانتشار الذباب الضار والحشرات السامة، ولكن ما إن يلجأ المصاب إلى الدومة وجد الخلاص، هذا، وإن كان الوافدون لا يؤمنون بتلك البركة .

رابعًا : أثر المكان في لغة القصة:

اللغة هي جسر التواصل لأي عمل سواء كان فنيًا، أو غير ذلك، وتأتي في العمل القصصي لتمثل عنصرًا فاعلًا، فلولا اللغة ما كان النص موجودًا؛ فهي تلك الأداة الصامتة التي تحول الأفكار التي في ذهن الكاتب إلى عمل مرئي أو مسموع ؛ " غير أن أداة الإنسان الأولى في الفن والمعرفة، والأدب والعلم، وهي اللغة لم تكف عن النمو والتشعب والثراء"[٦٠] حيث يتخذها الكاتب وسيلة للتعبير عمّا يجول في خاطرة ، كما أنها طريقة الكاتب التي تستوعب أحداث القصة بما تشتمل عليه من عنصري المكان والزمان، وتختلف اللغة من مؤلف لآخر حسب استعداداته وإمكاناته في إتقان لغته، وقدرته على تطويعها لخدمة نصه الفني؛ ولا شك أن عنصر المكان له دور مهم في التأثير على اللغة المستخدمة سواء وفق إمكانات المؤلف، أو طبيعة البيئة المراد التعبير عنها وما يهدف إليه الكاتب من إيصاله للمتلقي في النص القصصي ، وبشكل عام اللغة ما هي إلا مجموعة من الكلمات التي تحمل دلالات يقصدها المؤلف، تصاغ

بطريقة قد تحمل لهجة بعينها معتمدة على زخارف البلاغة، أو قد تخلو منها حسب مقتضيات الحال القصصي ؛ حيث إنها المقوم الرئيس لبنية النص.

وتمتاز لغة النص القصصي بتنوعها وعناية كاتبها بمستويات اللغة المختلفة سواء بالأسلوب، وتنوعه، وسلاسة اللغة وعذوبتها، ووضوحها، كما يعمد المؤلف إلى القصد بواسطة اللغة ومحاولة توظيف اللفظ ، والجملة بشكل يستطيع من خلاله تحميل الكلام دلالات عديدة ، كما يمتاز النص في القصة بخلوه من الوزن والقافية، ومن ثم يجد الإطناب دربًا ممهدًا شريطة عدم الإخلال والحشو.

وبمطالعة قصة " دومة ود حامد " نجد أثر المكان في اللغة يتضح في سهولة اللغة ووضوحها ، وكذلك توظيف الألفاظ المستنبطة من بيئة القرية السودانية وقد ورد ذلك في بداية القصة، بل في العنوان كتوظيفه كلمة " ود" فلم يقل ابن أو ولد، وإنما استقى الكلمة من المكان فهي لفظة دارجة عند المجتمع السوداني للتعبير عن الابن أو الولد، وربما كان السبب أن هذين الحرفين أو الصوتين من الحروف السهلة في النطق فلا يحتاجان إلى مجهود في نطقهما .

وقد تبع تنوع المكان للشخصيات الوارد ذكرها في القصة تغيرٌ ملحوظٌ في اللغة المستخدمة، رغم دوران الأحداث في القرية ، وقد جاءت اللغة في هذه القصة بسيطة واضحة تتخذ من اللغة المحلية دربًا لها، ومثل ذلك عندما عبّر الكاتب عند إظهار التوجع من الظهر بقوله :" وي وي .. هذا الظهر يوجعني"[٦١]؛ إذ يوظّف كلمة " وي " بشكل مكرر تعبيرًا منه عن الألم ، وعندما يتحدث عن ذباب النمتة نجده ينوع في الأسلوب كقوله :" إنه يا بني ذباب متمرس يعض ويلسع ويطن ويزن وعنده حب عظيم بني آدم ؛ إذا شمّ رائحتهم لازمهم ملازمة هش عندك يا بني – قاتل الله النمتة– "[٦٢] استطاع الكاتب بواسطة أسلوب بسيط، وسلسل استقى ألفاظه من البيئة وصف هذه الحشرة الضارة، فنجده يوظّف الأسلوبين الخبري والإنشائي، وكذلك يعترض بالجملة

الاعتراضية لجذب الانتباه، ويتخذ لها من الأسلوب الإنشائي مسلكًا له ، ثم يأتي بمجموعة من الأفعال المضارعة التي تحمل دلالة التجدد والاستمرار لنشاط هذه الحشرة كما في قوله : (يعض – يلسع – يطن – يزن)، وهي أفعال توحي بالحذر، وأخذ الحيطة، ثم يعمد لتكرار (لازم – ملازمة) تأكيدًا لخطورتها ، ويأتي – أيضًا – بالأمر والدعاء في قوله : (هش – قاتل) تنبيهًا للمخاطب ، وتنويهًا للمتلقي بوصف البيئة المكانية .

وحين يكون المقام هو الحديث عن أمر ديني نجده يأتي بالألفاظ التي تناسب الموقف، كتلك الكلمات التي يستعملها الواعظ الديني حين عُرض عليه زيارة الدومة والتبرك بها عله يبرأ مما أصابه فقال :" والله لو كانت دومتكم هذي دومة الجندل، وكنتم المسلمون مع عليّ ومعاوية "[٦٣]، تلك الألفاظ يستلهمها الكاتب من المكان أيضًا كذكره كلمات تدل على الضريح المكان المقدّس لديهم، وهنا نجد اللغة تحمل في طياتها جانبًا روحانيًا تطيب النفس لسماعه كقوله :" هذا ود حامد تمرضين مرضًا تشرفين منه على الموت لكنك تشفين منه .. تلزمك الكرامة لود حامد تحت الدومة"[٦٤]، فيأتي باللفظ المناسب كـ " الكرامة "؛ ليناسب المكان " تحت الدومة" حيث الضريح " أقدس الأشياء المقدّسة"[٦٥] ، ثم يستعمل الألفاظ الدالة على السعة المحققة من خلال بركة المكان بواسطة اللغة المناسبة كقوله :" ليس ثمة داع لإزالة الضريح الأمر الذي فات على الناس جميعًا أن المكان يتسع لكل هذه الأشياء للدومة والضريح ومكنة الماء ومحطة الباخرة"[٦٦] تلك الجمل يستعملها الكاتب نتيجة التأثر بعنصر المكان؛ لينهي الكاتب عمله الفني بكلمات تدل على السلام ومحاولة التسامح المجتمعي، هذا التسامح يأتي من بركة المكان التي يراها أهل القرية في " دومة ود حامد "؛ وعليه نجد للمكان أثرًا واضحًا في اللغة المستعملة عند المؤلف تتجلى لديه في مواضع كثيرة من

قصته، امتازت فيها بحسن الصياغة، ووضوح الأسلوب، واستخدام الجمل المعبرة بعيد عن الغريب الموحش، الاقتباس من البيئة المحيطة .

ومما سبق يتضح أهمية المكان وأنماطه على تشكلات عناصر قصة " دومة ود حامد" ، وكيف استطاع الطيب صالح توظيف الصراع في قصته بين عادات المجتمع في القرية وتمسكهم بالمكان الذي يرمز إليه الدومة وضريح ود حامد ، والتطوير من قِبل الحكومة هذا التطوير الذي وجد فيه أهل القرية خرابًا لتعلقه بمحو المكان المقدس ، فهذه " القصة ترمز إلى فرض التجديد الذي يقلب الأوضاع دون تمهيد لا يقبل بسهولة في ذلك المجتمع المحافظ، بل يحارب في عناد"[٦٧]، فتأثر الكاتب بالقضية المجتمعية توجب عليه طرح الحلول في نصه القصصي، تلك الحلول يراها في نهاية القصة يدعو فيها إلى التسامح الذي يراه في سعة المكان للتطوير مع المحافظ على الدومة والضريح، وكأنه يرى أن الصراع بين عادات القرية والتطوير الذي يمثل العلم يأتي تدريجيًا ، بأن يكون أمام المجتمع القروي المعني الأمران معًا، ومع مرور الزمن يلمسون أثر التجديد، والمكان الجديد، فيذهبون وراءه طواعية لا كرهًا .

الخاتمة :

وفي النهاية توصلت من خلال البحث والدراسة لموضوع "المكان، وأثره في التشكلات الفنية للقصة دراسة في قصة دومة ود حامد للطيب صالح" إلى بعض النتائج لعل أبرزها ما يلي :

- استطاع الطيب صالح في هذه القصة التعبير عن مجتمع القرية السودانية بشكل يدل على تمكنه في كتابة الفن القصصي.
- توضح القصة أهمية المكان المتمثل في المعتقد الديني للدومة والضريح، فترمز إلى الصراع بين التجديد والتمسك بالقديم.

- جاء المكان في هذه القصة ليمثل البطل الحقيقي الذي تدور حول أحداث القصة، ومن ثم كان له أثر بالغ في عناصر العمل الأخرى .
- كان للمكان أثر واضح في شخصيات القصة ظهر هذا الأثر في النواحي النفسية التي تباينت ما بين مؤيد محب ذي يقين مطلق حول بركة الدومة والضريح، وبين معارض كاره للمكان المفقر، يرى فيه جهل أهل القرية، ونواح أخرى جسدية.
- تجلى أثر المكان في عنصر الزمان في أمور كثير، كان أبرزها ارتباط الزمان بالعوامل الطبيعية في القرية، وانتشار الحشرات، والهوام.
- دارت أحداث القصة وفق مواقف متعددة كان للمكان أهمية كبيرة في التحكم فيها.
- جاءت اللغة في قصة دومة ود حامد متأثرة بالبيئة المحيطة لأهل القرية، وظّفها الكاتب بطريقة سلسة عذبة بَعُد فيها عن الغريب، ونوع في الأسلوب لجذب انتباه المتلقي.

الحواشي:

[١] المثيولوجيا : مجموعة أساطير, أو مثيات, تعمل على فك مستغلقات: الحياة/ الموت / الطبيعة / الثقافة . علم, يعالج تصنيف المعتقدات, ويحللها ويقارن ما بينها, د. سعيد علوش : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة(عرض وتقديم وترجمة) ص٢٠٧ – ط ١ – دار الكتاب اللبناني بيروت – لبنان – سوشبريس –الدار البيضاء – المغرب ١٩٨٥م

[٢] جون هالبرين : نظرية الرواية (مقالات جديدة) ص ٣١١ – ترجمة محي الدين صبحي – طبعة وزارة الثقافة والإرشاد – دمشق –سوريا – ١٩٨١م .

[٣] د. محمد زغلول سلام : دراسات في القصة العربية الحديثة أصولها اتجاهاتها إعلامها ص ٣٧٤ – طبعة منشأة المعارف بالإسكندرية.

[٤] الطيب صالح : الأعمال الكاملة الروايات والقصص ص ٤٣٥– الطبعة الأولى – مركز عبدالكريم ميرغي الثقافي – الخرطوم – السودان – سنة ٢٠١٠ .

[٥] نفسه ص ٤٣٥

[٦] نفسه ص ٤٣٥

[٧] د.طه وادي : دراسات في نقد الرواية ص٣٩ – طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨٩م .

[٨] مهدي عبيدي : جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار – الدقل – المرفأ البعيد) ص ٧ – طبعة الهيئة العامة السورية للكتاب – وزارة الثقافة – دمشق –سوريا – سنة ٢٠١١ م .

[٩] د. محمد زغلول سلام : دراسات في القصة العربية الحديثة ص ٦

[١٠] محمود أمين العالم : الإبداع والدلالة مقاربات نظرية وتطبيقية ص ٣٦ – ط١ – دار المستقبل العربي – القاهرة – مصر – ١٩٩٧م .

[١١] فاروق خورشيد : في الرواية العربي عصر التجميع ص٢٠ – ط٣ – دار الشروق بيروت – لبنان – القاهرة – مصر سنة ١٩٨٢م.

[١٢] د. عماد على سليم أحمد : السرد والمكان القصصي – تكامل إيقاعي مع الزمان والشخوص "وجوه تلتقي" لنعيم الغول أنموذجًا– ديوان الثقافة – منبر حر للثقافة والفكر والأدب ٣١ ديسمبر ٢٠٠٩م

[١٣] نفسه

[١٤] القصة ص ٤٣٥

[١٥] نفسه ص٤٣٦

[١٦] نفسه ص ٤٤٩

[١٧] د. عماد علي سليم أحمد السرد والمكان القصصي .

[١٨] د. طه وادي : دراسات في نقد الرواية ص ٣٩

[١٩] القصة ص ٤٣٦ :٤٣٧

[٢٠] نفسه ص ٤٣٥ :٤٣٦

[٢١] نفسه ص ٤٣٦

[٢٢] نفسه ص ٤٣٧

[٢٣] نفسه ص ٤٣٨

[٢٤] نفسه ص ٤٤٦

[٢٥] نفسه ص ٤٣٥

[٢٦] نفسه ص ٤٣٦

[٢٧] نفسه ٤٣٦

[٢٨] نفسه ص ٤٣٧

[٢٩] نفسه ص ٤٣٨

[٣٠] نفسه ص ٤٣٨

[٣١] نفسه ص٤٣٩

[٣٢] نفسه ص ٤٤٠

[٣٣] نفسه ص ٤٤٧

[٣٤] نفسه ص ٤٤٩

[٣٥] آيات شفيق سعيد عمّوص : المناحي الفنية في رواية يوتوبيا للكاتب أحمد خالد توفيق ص ١٢٣ – رسالة ماجستير – كلية الدراسات العليا – جامعة النجاح الوطنية – نابلس – فلسطين – سنة ٢٠٢١م.

[٣٦] د. محمد زغلول سلام : دراسات في القصة العربية الحديثة ص ١٤

[٣٧] القصة ص ٤٣٦

[٣٨] نفسه ص ٤٤٢

[٣٩] نفسه ص ٤٤٣

[٤٠] نفسه ص ٤٤٣

[٤١] نفسه ص ٤٤٣

[٤٢] نفسه ص ٤٣٧

[٤٣] نفسه ص ٤٤٣ : ٤٤٤

[٤٤] نفسه ص ٤٤٦

[٤٥] د. طه وادي : دراسات في نقد الرواية ص٣٠

[٤٦] د. محمد زغلول سلام : دراسات في القصة العربية الحديثة ص ١٣

[٤٧] نفسه ص ٤٤٥

[٤٨] انظر: القصة ص ٤٣٥

[٤٩] القصة ص ٤٤١ : ٤٤٢

[٥٠] نفسه ص ٤٤٢

[٥١] نفسه ص ٤٤٢

[٥٢] د. لطفي زيتوني : معجم مصطلحات نقد الرواية ص ١٨ – ط ١ – طبعة دار النهار بيروت – لبنان – ٢٠٠٢م.

[٥٣] القصة ص ٤٤٩

[٥٤] مهدي عبيدي : جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة ص ٢٠٧

[٥٥] د. طه وادي : دراسات في نقد الرواية ص ٣٢.

[٥٦] نفسه ص ٢٠٧

[٥٧] جاءت الأحداث في هذا الجدول مقتبسة من القصة في صفحاتها المختلفة.

[٥٨] القصة ص ٤٤١

[٥٩] د. طه وادي : دراسات في نقد الرواية ص٣١

[٦٠] د. صلاح فضل : عين النقد على الرواية الجديدة ص٨ – طبعة دار قباء –القاهرة – مصر – ١٩٩٨م.

[٦١] القصة ص ٤٤٢

[٦٢] نفسه ص ٤٣٥

[٦٣] نفسه ص ٤٣٧

[٦٤] نفسه ص ٤٤٠

[٦٥] نفسه ص ٤٤٧

[٦٦] نفسه ص ٤٤٩

[٦٧] د. محمد زغلول سلام : دراسات في القصة العربية الحديثة ص ٤١٦.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر الرئيسة :

- الطيب صالح : الأعمال الكاملة الروايات والقصص – الطبعة الأولى – مركز عبدالكريم ميرغي الثقافي – الخرطوم – السودان – سنة ٢٠١٠م.

المصادر والمراجع العربية والأجنبية المترجمة :

- آيات شفيق سعيد عمّوص : المناحي الفنية في رواية يوتوبيا للكاتب أحمد خالد توفيق– رسالة ماجستير – كلية الدراسات العليا – جامعة النجاح الوطنية – نابلس – فلسطين – سنة ٢٠٢١م.
- جون هالبرين : نظرية الرواية (مقالات جديدة)– ترجمة محي الدين صبحي – طبعة وزارة الثقافة والإرشاد – دمشق –سوريا – سنة ١٩٨١م .
- د. سعيد علوش : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة(عرض وتقديم وترجمة) – ط ١ – دار الكتاب اللبناني بيروت – لبنان – سوشبريس –الدار البيضاء – المغرب ١٩٨٥م.
- د. صلاح فضل : عين النقد على الرواية الجديدة – طبعة دار قباء –القاهرة – مصر – سنة١٩٩٨ م.
- د. طه وادي : دراسات في نقد الرواية– طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨٩م .
- د. عماد على سليم أحمد السرد والمكان القصصي – تكامل إيقاعي مع الزمان والشخوص "وجوه تلتقي" لنعيم الغول أنموذجًا– ديوان الثقافة – منبر حر للثقافة والفكر والأدب ٣١ ديسمبر – سنة ٢٠٠٩م

- فاروق خورشيد : في الرواية العربي عصر التجميع – ط٣ – دار الشروق بيروت – لبنان – القاهرة – مصر سنة ١٩٨٢م.
- د. لطفي زيتوني : معجم مصطلحات نقد الرواية– ط ١ – طبعة دار النهار بيروت – لبنان – سنة ٢٠٠٢ م.
- د. محمد زغلول سلام : دراسات في القصة العربية الحديثة أصولها اتجاهاتها إعلامها– طبعة منشأة المعارف بالإسكندرية.
- محمود أمين العالم : الإبداع والدلالة مقاربات نظرية وتطبيقية– ط١ – دار المستقبل العربي – القاهرة – مصر – سنة ١٩٩٧م .
- مهدي عبيدي : جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار – الدقل – المرفأ البعيد)– طبعة الهيئة العامة السورية للكتاب – وزارة الثقافة – دمشق – سوريا – سنة ٢٠١١ م .

The place and its effect on the artistic formations of the story, "A Study in the Story of Douma Wad Hamed by Tayeb Salih"

Abstract:

The research aims to investigate the "place" and its effect on the artistic formations of the story. A study in the story of Douma Wad Hamed by Tayeb Salih; Where the place and its different patterns, whether closed or open spaces, played an important role in shaping the elements of the story.This effect was evident in the various elements of the work. In the personalities component, the place affected psychologically between a lover and a hater of the place for many reasons, as well as in the physical components of the people.It also affected the element of time, and this was true in many things. The most important of which was the connection of time with the natural factors in the village in the different seasons of the year.As for the events, the events of the story took place in such a way that the place was the main controller of its development. The vocabulary of the language was also derived from the spatial environment of the people of the Sudanese village.The effect of the place on the elements of the story was clarified by displaying the various models in which the aspects of this impact were observed, then I analyzed them and clarified the extent of the spatial impact on them.This study was based on the mechanisms of the artistic method, which contributed to the interpretation and analysis of the story according to the importance of the place element and its impact on the other artistic elements of the story.

Key words: place, story, Wad Hamed, Alduma, Mausoleum.